

* أكرم الناس أصلاً

قال معاوية ذات يوم : - وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم - أخبروني
عن :

أكرم الناس أباً وأماً ، وعمّاً وعمّةً .
وخالاً وخالة ، وجدّاً وجدة

فقام مالك بن عجلان وأوماً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله
عنه - ثم قال .

هُوَذَا ...

أبوه عليّ بن أبي طالب .

وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وعمه جعفر الطيار .

وعمته أم هانئ بنت أبي طالب .

وخاله القاسم بن رسول الله ﷺ .

وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ .

وجده رسول الله ﷺ .

وجدته خديجة بنت خويلد .

فسكت القوم ، ونهض الحسن !

* نظرات صائبة لسُكينة بنت الحسين الأدبية !

أنشدها شاعر يوماً هذا البيت :

ذهب الذين يُعَاشُ في أَكْنَاهِم وبقيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ (١)

فلم تتألك أن قالت :

لله أبوه ! ما كان أشعره !

قالوا : وكيف كان ذلك ؟

(١) في أَكْنَاهِم : في رحابهم ، ويُلقأ إليهم في الشدائد .

قالت :

- كان القوم إذا عرف أحدهم عن أخيه خَلَّةً (حاجة) سَدَّها من حيث لا يعلم .
- ثم ذهب هؤلاء وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف عن أخيه خَلَّةً سَدَّها من حيث يعلم .
- ثم ذهب هؤلاء ، وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف عن أخيه خَلَّةً أحب أن يسأله ، فإذا سأله أعطاه !
- ثم ذهب هؤلاء ، وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف من أخيه خَلَّةً ، أحب أن يسأله ، فإذا سأله منعه ، ثم فضحه !

* هجر .. ووصل !!

أبو حمزة الضَّبِّي كان كل أمله أن تلد له زوجته أبناء يكونون قُرَّة عين له ، ولهذا يتملكه الغضب حين تلد زوجته بنتاً ، فيهجرها ويقضى وقت القيلولة والمبيت عند جيران له .

ولكنه عندما مرَّ ذات يوم على خِباء امرأته وجدها ترقصُ وليدتها وتقول :

يَظَلُّ في البيت الذي يلينا	ما لأبى حمزة لا يأتينا
تالله ما ذلك في أيدينا	غضبنا أن آل نلد البنينا
ونحن كالأرض لزراعينا	وإنما نأخذ ما أعطينا

تُبْتُ ما قد زرعوه فينا !

فحركت هذه الكلمات مشاعره وعرف أن الله هو الواهب ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾

[الشورى : ٤٩]

وراح يقبل زوجته وابنته !

ورفرت على الخِباء أعلام السعادة من جديد !!

* البعض يفضلونها بنتاً

تزوج أعرابى بأخرى على امرأة له ، فولدت الجديدة غلاماً وكان للقديمة بنت !
فأقبلت أم الغلام ترقصه يوماً وتقول مُعَيَّرَةً لُصَّرَتَهَا !

الحمدُ لله الحميدِ الغالى أنقذنى اليوم من الجوالى ^(١)
من كلِّ شوهاء كشن ^(٢) بالى لاتدفعُ الغيم عن العيال

فسمعتها ضرَّتْها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما عَلىَّ أن تكونَ جاريه تغسِلُ رأسى وتكون الفالية
وترفع الساقط من خماريه ^(٣) حتى إذا ما بلغت ثمانيه
أزرتُها بنقبة يمانيه أنكحها مروان أو معاويه

أصهار صديق ومهور غاليه

قال : فسمع بذلك مروان ، فتزوجها على مائة ألف مثقال .

وقال : إن أمَّها حقيقة ^(٤) ألا يكذب ظنُّها ، ولا يخان عهدُها ؛ فقال معاوية :

لولا أن مروان سبقنا ، لأضعفنا ^(٥) إليها المهر ، ولكن لا تحرم الصلة ؛ فبعث إليها
بمائة ألف !!

* هم كالحلقة المفرغة

لا يُدرى أين طرفاها !؟

هذا مثل عربى قالته فاطمة بنت الحوشب الأنمارية امرأة زياد العبسى .

كان لها سبعة أولاد ذكور من نجباء العرب ! ف قيل لها يوما : أى أولادك
أفضل ؟

(١) الجوالى : الدنانير المجلوة التى لم تصدأ ، وأنقذنى أعطانى .

(٢) الشن : القرية البالية (٣) الخمار : غطاء الرأس .

(٤) أزرتها : ألبستها الإزار .

(٥) تستحق ، وجديرةً بذلك .

(٦) ضاعفنا وقدمناه إليها مضاعفاً .

قالت : الربيع .. لا بل عمارة .. لا بل فلان .. ثم قالت :
ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل !!
هُم كالحلقة المفرغة لا يُدري أين طرفاها ؟!

* هكذا — والله — أشتى أن يكون كلام النساء

تعرضت أم سلمة امرأة محمد بن عبد الله بن الحسن للمنصور قائلة :
وهذان ابنائى منه أمتهمُ سيفك ؛ وأصرعهُما خوفك !!
فإن أردت أن تعطف عليهما بسوابق النسب ، وأواصِرِ الرَّحم ، فلا تُصعِّر
حدك لهما ، فتبيع الأولى للأخرى فافعل !!
قال المنصور :

هكذا والله أشتى أن يكون كلامُ نساء العرب !
رُدُّوا على ولدى محمد ضياع أبيهما ؛ فرُدَّت !
ولم يزل محسناً إليهما !

* أنس بن مالك وأمه !

أم سُلَيْم هي سهلة بنت ملحان بن خالد الأنصارية ، إحدى السابقات إلى
الإسلام ، والغازيات في سبيل الله ، أسلمت ورسول الله ﷺ بمكة ، وبايعته
حين مقدمه إلى المدينة ، وكان إسلامها مراغمةً لزوجها « مالك بن النضر » وكان
ولدها أنس بن مالك يومئذ طفلاً رضيعاً فكانت تقول له :

قل : لا إله إلا الله !
قل : أشهد أن محمداً رسول الله !

فجعل ينطق بذلك أول ما ينطق ، فكان ذلك مما يثير الغضب في نفس مالك ؛
فيقول :

لا تُفْسِدِي عَلَى وَلَدِي !

ثم أَيَّاسُهُ أَمْرُهَا فخرج عنها إلى الشام ، وهنالك كان مقتله ، فلما بلغها قَتْلُهُ
قالت :

لا جَرَمَ ^(١) لا أفطم أنساً حتى يدعَ الثدى ولا أتزوج حتى يجلسَ في المجالس ،
ويأمرني !

فكان أنس يعرف لها تلك المِنَّة ، فيقول :

جزى الله أميَ عنى خيراً ، لقد أحسنت ولايتي ! حتى إذا شب أنس ، تقدم
لخطبتها أبو طلحة زيد بن سهل - وكان مشركاً - فأبت ثم قالت له يوماً :
أرأيت حجراً تعبدُه لا يضرُّك ولا ينفَعُك ، أو خشبة تأتى بها النجار فينجرها
لك ، هل يضرُّك ؟ هل ينفَعُك ؟ وأكثرت من أشباه ذلك الكلام ، فوقع في قلبه
الذى قالت ، فأتاها فقال :

لقد وقع في قلبي الذى قلت !
وآمن بين يديها .

قالت : فإني أتزوجك ، ولا أريد منك صداقاً غير الإسلام !

* الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم !

خرج أبناء الخنساء إلى القادسية - وكانوا أربعة - فكان مما أوصتهم به قولها :
يا بَنِيَّ ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو
إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ! ما هَجَنْتُ حَسَبَكُمْ ،
وما غيرت نسبكم .

واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا ، وصابروا ،

(١) لاجرم : حقاً .

ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجلّت ناراً على أرواقها ، فيممو وطيسها ، وجالدوا رسيسها ^(١) ، تظفروا بالغنم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها ، وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم حتى قُتلوا واحداً في إثر واحد .

ولما وافتها التُّعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت :

« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة » ^(٢) .

* ثكلته إن لم يسُدْ إلا قومه !!

قال أبو هريرة :

رأيت هنداً جالسةً بمكة كأنها فلقة قمر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس .. ومعها ابنها معاوية ، وهو صبي يلعب !
فنظر إليه رجل من العرب فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ساد قومه !
فقلت :

ثكلته إن لم يسُدْ إلا قومه ^(٣)

* هكذا كانوا يؤدبون الأبناء !

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي :

كانت أم يحيى بن جعفر البرمكي تزور أُمى ، وكانت لبية من النساء حازمة

(١) الوطيس : المعركة أو الضرب فيها ، والريسيس : الأصل .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ٦٦ - ٦٧

(٣) فأكهة الصيف وأنيس الضيف للسيوطي . مكتبة القرآن .

فصيحة تبرز للقوم في عفة فيتحدثون إليها ويجلسون . وكان يعجبني أن أجدها عند أمي فأستكثر من حديثها ؛ فقلت لها ذات يوم :

يا أم جعفر ، إن بعض الناس يفضل جعفرأ على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر ، فأخبريني .

فقلت : مازلنا نعرف الفضل للفضل .

فقلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا .

فقلت : سأحدثك ، واقض أنت - وكان ذلك الذي أردت منها .

قالت : كانا يوماً يلعبان في داري ، فدخل أبوهما فدعا بالغداء ، وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم آنسهما بحديثه وقال لهما : أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر - وكان أجراًهما - نعم !

وكان الفضل أكثر خبرة منه بها ؛ فجيء بالشطرنج ، فصفت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل .

فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك !

فقال : لأحب ذلك .

فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها مني فيأنف من ملاعبي ، وأنا أراه أنه أن يلاعبي .

فقال الفضل : لأفعل .

فقال أبوه : لاعبه وأنا معك .

فقال جعفر : رضيت ، وأبى الفضل ، وطلب من أبيه إعفاه فأعفاه .

ثم قالت قد حدثت فاقض .

فقلت : قد قضيت للفضل على أخيه !

فقلت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء كما حكمتك ، أفلا ترى أن جعفرأ قد

سقط أربع سقطات تنزه الفضل عنهن :

فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج .

وكان أبوه صاحب جَد !

وسقط في التزام ملاعبة أخيه ، وإظهار الشهوة لَعَلَّبه ، والتعرض لغضبه !
وسقط في التزام المقامرة ، وإظهار الحرص على مال أخيه ! والرابعة قاصمة
الظهر ، حين قال أبوه لأخيه :

لاعب وأنا معك

فقال أخوه : لا

وقال هو : نعم ، فعادى صَفًّا فيه أبوه وأخوه !!
فقلت : أحسنت ، والله إنك لأَقْضَى من الشعبي (١) .

ثم قلت لها : أناشدك الله أن تخبريني: هل خفى مثل هذا على جعفر وقد فطن له
أخوه ؟

قالت : لولا أنك تناشدني الله لما أخبرتك . إن أباهما لما خرج ، قلت للفضل
خالية به :

ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك ؟

فقال : كَلَّا ، ولكنه الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه ، فأبى
قبولها ، وطمعت أن يلاعبني ، فأخاطره عليها ، وهو يغلبني فتطيب نفسه
بأخذها .

فقلت لها : يا أماء ، ما كانت هذه الدواة ؟ قالت :

إن جعفرأ دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر ، محلاةً
بالياقوت الأزرق والأصفر ؛ فرآه ينظر إليها فوهبها له .

فقلت : زيديني من حديثهما .

فقالت : ثم قلت لجعفر : هبك اعتذرت بما سمعت ، فما عذرک من الرضا بمناسبة

أبيك حين قال : لاعبه وأنا معك ؟

فقلت أنت : نعم ، وقال هو : لا .

(١) الشعبي : أحد رجال الفقه والقضاء تولى بالكوفة سنة ١٠٥ هـ

فقال : عرفت أنه غالبى ، ولو فتر لعبه لتغالبت له ؛ مع ماله من الشرف والسرور
بتحيز أبيه إليه !

قال : محمد بن عبد الرحمن : فقلت مظهرا إعجابى بما سمعت : هذه والله هى
السيادة .

فقال : أمران :

أحدهما - أنى لو لاعبته لغلبيته فأخرجلته !

والثانى - قول أنى لاعبه وأنا معك ؛ فما يسرنى أن يكون أنى معى على أخى !

ثم خلوت بجعفر ، فقلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج ، فيصمت
أخوك وتعترف ، وأبوك صاحب جد ! فقال : إنى سمعت أنى يقول :

نعم هو البال المكدود ^(١) ، وقد علم ما نلقاه منه كد التعلم والتأدب ، ولم آمن
أن يكون بلغه أنا نلعب بها ، ولأن يبادر أخى فينكر ، فبادرت بالإقرار إشفاقاً
على نفسى وعليه ، وقلت : إن كان توبيخ من أنى فسوف يوجه إلىى وأكون قد
فديت أخى من المواجهة به .

فقلت له يا بنى ، فلم تقول : ألاعبه مخاطرة (مراهنة) ؟ كأنك تقامر أخاك ،
وتستكثر ماله !

ثم قلت لها : يا أماه ، أكان منهما من بلغ الحلم ؟
فقالت : يا بنى عجيب أمرك ! أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول : أكان منهما من
بلغ الحلم ؟!

لقد كنا نهى الصبى - إذا بلغ العشر وحضر من يُستحى منه - أن يتسم !!

(١) كدّه : أجهده وأتعبه .

* الحق أنطقها وأخرسه

جلس المأمون يوماً للمظالم ^(١) ، فكان آخر من تقدم إليه وقد هم بالقيام :
امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه وقالت :
السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى القاضي
« يحيى بن أكرم » فقال يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك .
ف قالت :

يا خيرَ منتصفٍ يَهْدِي له الرّشد ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك - عميدَ القوم - أرملةً عدا عليها فلم يترك لها سَبْداً ^(٢)
وابتز مني ضياعى بعد منعتها ظلماً ، وفرق منى الأهل والولد
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه فقال :

هذا أو ان صلاةَ العصر فانصرفي وأخضري الخصمَ في اليوم الذي أعِدْ
والجلسُ السبْتُ إن يقضِ الجلوسُ لنا نُنصفُك منه وإلا المجلسُ الأحَدُ

فلما كان يوم الأحد ، جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة ، فقالت :
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام .
أين الخصم ؟

قالت : الواقف على رأسك . وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال المأمون : يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ! فجعل
كلامها يعلو كلام الأمير !

فقال لها أحمد : يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ؛ فاخفضي صوتك !
فقال المأمون : دعها ، فإن الحق أنطقها وأخرسه ! ثم قضى لها ، وأمر لها بنفقة ،
وأوصى بحسن معاملتها !

(١) للفصل في القضايا وإقامة العدل ودفع الظلم عن المظلومين وسماح مظلمتهم .

(٢) يقال : ماله سبْدٌ ولا بُدَّ : أى لا قليل ولا كثير .

* مآقع بين المآمون وآلآرآة بآضرة الرشيد^(*)

كان لهارون الرشيد آارية غلامية^(١) ، وكان المآمون يميل إليها ، وهو آنذاك أمرء^(٢) ، فوآفت يومآ تصب على يد الرشيد من إبريق معها ، والمآمون آالس آلف الرشيد ، فأشار المآمون إليها كأنه يقبلها ، فأنكرت ذلك بعينها ، وأبطأت في الصب على مقدار نظر ها إلى المآمون وإشارتها إليه .

فقال الرشيد : ما هذا ؟

ضعى الإبريق من يدك ، ففعلت !

فقال : والله لئن لم تصدقننى لأقتلنك !

فآالت : يا سيدى ! أشار إلى عبد الله كأنه يقبلنى ، فأنكرت ذلك .

فآلفت إلى المآمون ونظر إليه ، كأنه ميت لما دخله من الآزع والآآل ، فرآه ، وضمه إليه ، وقال :

يا عبد الله ، آآبها ؟!

قال : نعم ! يا أأر المؤمنين .

قال : هى لك .

قم فادآل في تلك القبة ؛ ففعل .

ثم قال : هل قلت في هذا الأمر شعرا ؟

قال : نعم ، يا سيدى ، ثم أنشد :

من الضمير إليه
فاعةل من شففيه
بالكسر من آآبفه
آتى قآرت عليه !

ظبى كبت بطرفى
قبتة من بعيد
ورآ آآرآ
فما برآت مآلى

(*) الأمالى لأى القالى .

(١) يعنى وصيفة على قد الغلام .

(٢) لم يبت شعر لآته وآاره بعد !

* وصية غالية

قال رجل لولادة العبدية - وكانت أعقل النساء - إني أريد الحج فأوصيني .
قالت : أَوْجِزْ فَأَبْلُغْ ، أَمْ أَطِيلْ فَأُحْكَمْ ؟!
فقال : بما شئت .
قالت : جُدْ تُسُدْ ، وَاصْبِرْ تُفْزَ .
قال : أيضاً .
قالت : لَا يَتَعَدَّ غَضَبُكَ حِلْمَكَ ، وَلَا هَوَاكَ عِلْمَكَ . وَفِرْ دِينَكَ بِدُنْيَاكَ ، وَوَفِرْ
عِرْضَكَ بِعَرَضِكَ ، وَتَفَضَّلْ تَخْدَمَ ، وَاحْلَمْ تُقَدِّمَ .
قال : فَمَنْ أَسْتَعِينُ ؟
قالت : إِنْ قُلْتَ مِنَ النَّاسِ . قُلْتَ : الْجُلْدَ النَشِيطَ ، وَالنَّاصِحَ الْأَمِينَ .
قال : فَمَنْ أَسْتَشِيرُ ؟
قالت : الْمَجْرَّبَ الْكَيْسَ ، أَوِ الْأَدِيبَ وَلَوْ الصَّغِيرَ ،
قال : فَمَنْ أَسْتَصْحَبُ ؟
قالت : الصَّدِيقَ الْمَلِمَ ، أَوِ الْمَدَاجِي الْمَتَكْرِمَ .
ثم قالت : يَا بَنَاهُ إِنَّكَ تَفِدُ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ فَانْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ مَقَامُكَ بَيْنَ
يَدَيْهِ !

* بِمِ أَوْصَتْ الْأُمُّ ابْنَهَا الْمَسَافِرَ ؟

مما تحدث به «ابن الأنباري» ورواه «المبرد» في «الكامل» قال «أبان بن تغلب» وكان عابداً من عبَاد البصرة شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرأ ، وهي تقول له : أَيُّ بَنِي : اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ
الْوَصِيَّةَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ .
قال أبان : فَوَقَفْتُ مُسْتَمِعاً لِكَلَامِهَا ، مُسْتَحْسِناً لَوْصِيَّتِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ :

أَيُّ بَنَى ^(١) ، إِيَّاكَ وَالتَّيْمَةَ ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّعِيفَةَ ، وَتَفْرُقُ بَيْنَ الْحَمِيمِينَ .
وإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتَتَّخِذُ غَرَضاً ^(٢) ، وَخَلِيقَ أَلَا يَثْبُتُ الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ
السَّهَامِ ، وَفَلَمَّا اعْتَوَرَتِ السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلَمَتْهُ ^(٣) ، حَتَّى يَهِيَ ^(٤) مَا اشْتَدَّ مِنْ
قُوَّتِهِ !!

وإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالبَخْلَ بِمَالِكَ .
وَإِذَا هَزَزْتَ ^(٥) فَاهْزِزْ كَرِيماً يَلِينُ لِهَزَّتِكَ ، وَلَا تَهْزِزِ اللَّيِّيمَ ؛ فَإِنَّهُ صَخْبَرَةٌ
لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا !!
وَمِثْلُ لِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ
غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ .
وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ مِنْهُ فَعَلَهُ كَانَ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ
الرَّيْحِ فِي تَصَرُّفِهَا . ثُمَّ أَمْسَكَتْ . قَالَ أَبَانُ : فَدَنُوتُ مِنْهَا ، فَقُلْتُ : بِاللَّهِ
يَا أَعْرَابِيَّةَ ، أَلَا زِدْتِهِ فِي الْوَصِيَّةِ .
فَقَالَتْ : وَالْغَدْرُ أَقْبَحُ مَا تَعَامَلُ بِهِ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ جَمَعَ إِلَى الْحِلْمِ السَّخَاءُ فَقَدْ
أَجَادَ الْحِلَّةَ ^(٦) : رَيِّطَتْهَا وَسَرَّ بِهَا .

* سَوَالُ النَّاسِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ

قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لَابْنِهَا :

أَيُّ بُنَى ، إِنْ سَوَّالِكَ النَّاسِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِمْ !
وَمَنْ افْتَقَرْتَ إِلَيْهِ هَنْتَ عَلَيْهِ !

-
- (١) أَيُّ أَدَاهُ لِنَدَاءِ الْقَرِيبِ مَكَانَةً أَوْ مَكَاناً ، كَمَا أَنَّ يَاءَ لِنَدَاءِ الْبَعِيرِ .
(٢) تَصْبَحُ هَدِفاً ، فَمَنْ كَانَ يَتَمَنَّى مِنْ زَجَاجٍ لَا يَرْمِي النَّاسَ بِالْحِجَارَةِ .
(٣) اعْتَوَرَتْ تَنَاوَلَتْ وَأَصَابَتْ . وَكَلَمَتْهُ جَرَحَتْهُ وَنَالَتْ مِنْهُ . (٤) يَهِيَ : يَضْعَفُ .
(٥) هَزَهَ : حَرَكَهُ وَهَيَّجَهُ لِلْعَمَلِ كَمَا يَسْتَجِيبُ لِمَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ .
(٦) الْحِلَّةُ : كُلُّ ثَوْبٍ جَدِيدٍ أَوْ عَمُوماً : الثَّوْبُ السَّاتِرُ لَجَمِيعِ الْبَدَنِ . وَالرَّيْطَةُ : الْمَلَاءَةُ إِذَا كَانَتْ
قِطْعَةً وَاحِدَةً ، وَالسَّرْبَالُ الْقَمِيصُ . وَتَقْصِدُ أَنَّهُ يَتَحَلَّى بِالْحِلْمِ وَالسَّخَاءِ يَكُونُ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ .

ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب ! فإذا ألحت عليك الحاجة ، ولزمتك
سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمستول !

* كان ظهراً فانكسر !

حدث إسحاق الموصلي عن رجل من أهل المدينة قال :
كنت في جنازة عبد الله بن ربيعة الحارث بن عبد المطلب وإذا امرأة تقول :
واحراء عليك !

فسألت عنها ، فقالوا : هذه أمه ؛ فدنوت منها ، فقلت يا أم عبد الله !
إن عبد الله كان بعض البشر ، فقالت : إن عبد الله كان ظهراً فانكسر ،
وأصبح أجراً يُنتظر !

وإن في ثواب الله لَعَزَاء عن القليل ، وجزاء على الكثير !

* حديث فتاة

حدّث التّوّزّي عن بعض الكتاب قال :
دخلت البصرة أنا وصديق لي فرأيت فتاة قد خرجت من بعض الدور كأنها
فلقة قمر !

فقلت لصاحبي :

لَوْ مِلْتُ بِنَا فاستسقيناها ماء ! ففعل . فقلنا لها : جعلنا الله فداءك !
اسقينا ماء !

فقالت : نعم وكرامة !

فدخلت وأخرجت كوز ماء وهي تقول :

أَلَا حَيٌّ شَخْصِي قاصِدِينَ أَرَاهُمَا أَقَامَا فَمَا إِنْ يَعْرِفَا مَبْتَغَاهُمَا
هُمَا استسقياء ماءً عَلَى غَيْرِ ظَنْمَةٍ لَيْسْتَمْتِعَا بِاللَّحْظِ مِمَّنْ سَقَاهُمَا

* رَدِّ لاذِع !

قال أبو الحسن المدائني :

كان عند روج بن زنباع هندُ بنتُ النعمان بن بشير .
وكان شديد الغيرة !!

فأشرفت ^(١) يوماً تنظر إلى وفد من جذام كانوا عنده ؛ فزجرها !
فقالت :

والله إني لأبغضُ الحلال من جذام !
فكيف تخافني على الحرام فيهم ؟!

* حُرْقَةُ بنت النعمان

كان أبوها النعمان ملك الحيرة من بلاد العرب وهو أول ملك قيل له في
معرض المديح :

« أَيُّتَ اللَّعْنِ »

أى أنك لا تفعل ما تُلام عليه !

حقد عليه كسرى ملك الفرس لو شاية نقلت إليه ، وفضل النعمان أن يلقاه
ليبرئ نفسه ولكن كسرى أمر بسجنه حتى مات في السجن .

وهكذا كتب على حرقه أن تنزل من الرفعة إلى الذلة بعد أن نكحها الزمان !

مر زياد بن أبيه بالحيرة ، فرأى ديرا هناك ، فسأل : لمن هذا الدير !

ف قيل له : إنه دير حرقه بنت النعمان بن المنذر فقال : ميلوا بنا إليه لنسمع
كلامها .

فلما وصلوا قال لها الخادم :

(١) أشرفت : أطلت وتطلعت .

كلمى الأمير .. فقالت :

أوجز أم أطيل ؟

قال : بل أوجزى ..

قالت : كنا كأهل بيت طلعت الشمس علينا ، وما على الأرض أحد أعز منا !

فما غابت تلك الشمس ، حتى رحمنا عدونا !

ثم قالت : أيها الأمير ، ما من دار امتلأت سروراً ، إلا امتلأت بعد ذلك بُوراً .

فأمر لها بما تستعين به على حياتها !

فقالت : أطعمتك يد شبعاء جاعت !

ولا أطعمتك يد جوعاء شبع !

فقال زياد لشاعر معه :

قيد هذا الكلام ليدرس !

فقال :

سَلِ الْخَيْرَ أَهْلَ الْخَيْرِ قَدْ مَأْوَاهُ لَا تَسَلْ فَتَى ذَاقَ طَعْمِ الْخَيْرِ مِنْدٍ قَرِيبٍ !

* حُرْقَةُ وَسْعِدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ *

كانت حُرْقَةُ قد وفدت يوماً على سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، أمير القادسية بعد

استيلاء المسلمين على ملك فارس وكان معها جواريتها ، وكن جميعاً في ثياب

سوداء ممزقة ، فلما وقفن بين يدي سَعْدِ قَالَ :

أَفِيكُنَّ حُرْقَةُ ؟

قالت : هأنذا !

قال : أنت حُرْقَةُ ؟! — كأنه كان ينكرها لسوء حالها —

قالت : نعم .

فما تكررارك في الاستفهام ؟!

ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، لا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالاتاً ،

وَيُعَقِّبُهُمْ بَعْدَ حَالٍ حَالاً !

كنا ملوك هذا المِصر يُجْبَى لنا خراجُه ..

فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصانا ، وشئت
شملنا ، وكذلك الدهر يأسعد ، إنه ليس يأتي قوماً بمسرة ، إلا ويعقبهم بحسرة .
ثم قالت :

فبينما نسوسُ الناسَ والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نتنصّفُ
فأفٌ لدينا لا يدوم نعيمُها ثَقَلَبَ تاراتِ بنا وتصرّفُ

* ارحموا عزيزنا ذُلّ^(١)

وجه الرسول ﷺ إلى طييء فريقاً من جنده ، يقدمه عليّ عليه السلام ،
ففرغ عدى بن حاتم الطائي^(٢) - وكان من أشد الناس عداء لرسول الله - إلى
الشام فصبح عليّ القوم ، واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول
الله .

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم « سَفَانة بنت حاتم » فقالت :
يا محمد ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد !

فإن رأيت أن تُخَلِّي عني ، ولا تُشِمِّتَ بي أحياء العرب ؛ فإن أُنِي كان سيد
قومه ، يُفَكِّ العاني^(٣) ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار^(٤) ،
ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويُفشي السلام ، ويحمل الكل^(٥)
ويعين على نوائب الدهر ، ومأثاه أحدٌ في حاجةٍ فردّه خائباً .
أنا بنت حاتم الطائي !

-
- (١) الأغاني ص ٩٣ ج ١٦ ، وإنسان العيون ص ٢٨٥ ح ٢ ، غرر الخصائص ص ١٢
(٢) عدى بن حاتم : صحابي من الأجواد العقلاء ، كان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان
إسلامه سنة ٩ هجرية ، وشهد فتح العراق ، والحمل ، وصفين والنهروان مع علي .
(٣) العاني : الأسير .
(٤) الذمار : الحمى وما يجب على الإنسان أن يحميه من مال وعرض وأرض .
(٥) الكل : العائل واليتم .

فقال النبي ﷺ :

يا جارية ، هذه صفات المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه .
خلّوا عنها ؛ فإن أباهـا كان يحب مكارم الأخلاق !

ثم قال :

« ارحموا عزيزاً ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالمأ بين جهال » .

[رواه العسكري وابن حبان بسند فيه منكر]

وامتن عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها !

فاستأذنته في الدعاء له ، فأذن لها ، وقال لأصحابه :

اسمعوا وعُوا . فقالت :

أصاب الله ببرك مواقعه !

ولا جعل لك إلى لقيم حاجة !

ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها عليه . فلما أطلقها ،

رجعت إلى أخيها عدى ، وهو بدومة الجندل .

فقالت له :

يا أخي ، إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله . فإني قد رأيت هديأ ورأياً ،

سيغلب أهل الغلبة . ورأيت خصالا تعجبنى :

● رأيتـه يحب الفقير !

● ويفك الأسير !

● ويرحم الصغير !

● ويعرف قدر الكبير !

● وما رأيت أجود ولا أكرم منه !

فإن يكن نبياً فليُنك فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عز ملكه .

فقدم « عدى » إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وأسلمت « سَفانة » !

وبعد هذه الجولة في

«دنيا المرأة»

أرجو أولاً - أن تكون هذه «الأقاصيص» قد أبرزت لك ملامحها
وسماتها ، وصورت لك جوانب حياتها !
وأرجو ثانياً - أن تدخل دنياها وأنت أعرف بها في جدّها وهزّها ، وغضبها
ومرحها !

ولكما معاً أجمل آمنيات السعادة !!